إجراءات صرفية في تقلبات التاء الزائدة

في صرف الافتعال والتفاعل والتفعّل

أولاً : الإفتعال :

١ - القلب :

* تقلب تاء الإفتعال إلي طاء إذا سبقها حرف مطبق (والمطبقات هي الصاد والضاد والطاء والظاء) وذلك مثل :
  * التاء في اصتلح) تقلب إلي طاء كما في (اصطلح).
  * والتاء في (اضتر) تقلب إلي طاء كما في (اضطر).
  * والتاء في (اطتلع) تقلب إلي طاء كما في (اطّلع).
  * والتاء في (اظتلم) تقلب إلي طاء كما في (اظطلم).
* وتقلب تاء الافتعال إلي دال إذا سبقتها :
  * الدال كما في (ادتان) إذ - تنقلب إلي (ادّان).
  * أو الذال كما في (اذتكر) إذ تنقلب إلي ادّكر).
  * أو الزاي كما في (ازتان) إذ تنقلب إلي (ازدان).

يقول ابن مالك في تلخيص هذين الإجراءين:

طا تا افتعال رد إثر مطبق في ادّان وازدد وادّكر دالا بقي

أما فيما سوي هذين الموقعين (عندما تلي التاء حرفا ليس مما سبق) فإن التاء تظل مستصحبة فلا تنقلب عن صورتها الأصلية ، وذلك كما في :

ائتمر، ابتعد اجتمع ، احتمل ، اختصم ، ارتضي ، اعتنق ، اغتفر ،

افتري ، اقترب ، اكتمل ، التقي ، امتحن ، انتهي ، اهتدي . ولايخرج عن ذلك إلا أن تأتي التاء بعد واو ساكنة فتنقلب الواو إلي تاء وتدغم في تاء الافتعال كما في (اوتصل = اتصل) ، وكذلك عند توالي تاءين مثل (ات – تبع = اتّبع) وتوالي التاء والثاء كما في (اث – ت أر = اثأر) أي أخذ بثأره، وفي تحويل لفظ (اظطلم) إلي (اظّلم) علي سبيل الترخص .

ومن الترخصات القرآنية في صيغة الافتعال بعض الشواهد التي تتحول فيها التاء إلي حرف مقارب للحرف الذي يليها ثم تدغم فيه . والقاعدة الأصولية التي يتم بها هذا التحول تقول : «الحرف الساكن حاجز غير حصين» (ومن ثم يسمح بنقل الحركة من تاليه إليه) . وفيما يلي بعض الشواهد علي هذا الإجراء :

* « أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ» (يونس ٣٥) .
* « مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ» (يس ٤٩) .

وفيما يلي بيان لعلة العدول عن الأصل إلي هذه الترخصات كل علي حدة :

١ – علة العدول عن «يختصمون» إلي «يخصمّون»:

* الخاء ساكنة ، والحرف الساكن حاجز غير حصين .
* نقلت حركة تاء الافتعال إلي الساكن الصحيح قبلها (وهو الخاء) فسكنت التاء .
* التقي متقاربان (تاء الافتعال والصاد) ومن شأن التقائهما أن يدغم أحدهما في الآخر كما في قوله تعالي : « كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ» (الأنعام ١٢٥) فتم هذا الإدغام ، وصار مجموعهما صادا مشددة مكسورة مسبوقة بخاء مفتوحة .

* تحوّل فتح الخاء إلي كسر لمناسبة ما بعده .

٢ – علة العدول عن «يهتدي» إلي يهدّي»:

* الهاء من «يهتدي» ساكنة والحرف الساكن حاجز غير حصين .

* نقلت حركة تاء الافتعال إلي الساكن الصحيح قبلها (وهو الهاء) فسكنت التاء .

* التقي متقاربان هما تاء الافتعال والدال ، ومن شأن التقائهما أن يدغم أحدهما في الآخر كما في قوله تعالي : «وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ» (النساء ٢٠) ولذا وقع الإدغام .

* توالت حركتان مختلفتان هما فتحة الهاء وكسرة الدال المشددة فكسرت الهاء للمناسبة .

وقد اشتملت إجراءات العدول هنا علي القلب والإدغام والنقل والحذف والمناسبة ، وكل ذلك لطلب الخفة .

وفيما يلي طائفة من الشواهد القرآنية التي تظهر استصحاب تاء الافتعال :

* «وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ» (آل عمران ١٦٦) .

* « فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» (هود ٣٦) .

* «وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ» (الحديد ٢٧) .

* «وَاتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» (النساء ١٢٥) .

* «وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا» (الأعراف ٢٠٣) .

* « فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ» (البقرة ٢٦٦) .

* «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» (الحج ١٩) .

* «إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ» (ص ٧) .

ثانياً : في التفاعل والتفعّل :

الأمر هنا يختلف عما تقدم لسبب يعود إلي اثنين مهمين من ثوابت النظام اللغوي العربي : أولهما كراهية توالي المثلين ، وثانيهما أمن اللبس . وإليك البيان :

لقد كان في كلامنا عن تاء الافتعال أنه لافرق في أحكامها بين الماضي والمضارع وما عداهما من الصيغ . أما بالنسبة للتفاعل والتفعّل فهناك فرق في رتبة الحروف وفي الإجراء بين هاتين الصيغتين وبين ما رأينا في الافتعال ، وبخاصة بين الماضي والمضارع . ذلك أن رتبة فاء الكلمة والتاء الزائدة تختلف في الافتعال عنها في التفاعل والتفعّل ، كما يبدو من مجرد النظر إلي أسماء الصيغ . أما بين الماضي والمضارع فحسبنا أن نتأمل في أن بنية المضارع تبدأ بأحد حروف المضارعة بخلاف الماضي . فلو كان لدينا فعل ماض مثل «تتبع الباحث مفردات الجملة» وأردنا أن نصرف الباحث عن تتبع المفردات إلي تتبع العلاقات قلنا : «لاتتتبع المفردات ولكن تتبع العلاقات بينها»، وعندئذ نجد لدينا في فعل النهي ثلاثا من التاءات المتوالية بلا فاصل فنعلم وجه الحكم بكراهية توالي الأمثال ، وكذلك نعلم سبب إدغام المثلين . ومن هنا نهش لسماع الشواهد القرآنية التي تشهد لهذه الظاهرة من قبيل ما يلي :

* «مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ» (التوبة ٣٨) .
* « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا» (البقرة ٧٢) .
* «وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ» (البقرة ٢٦٩) .
* « لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ » (عبس ٣ - ٤) .

* «لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ» (الصافات ٨) .

* «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ» (البقرة ٧٤) .

* «كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ» (الأنعام ١٢٥) .

* «وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ» (الأعراف ١٣١) .

فالرتبة بين التاء وفاء الكلمة في كل ذلك عكس ما قرره بيت ابن مالك في الألفية بالنسبة للافتعال ، وذلك بقوله : «اثر مطبق» الخ . وكما ذكرنا ما يرد من إجراءات العدول عن أصل الوضع بالنسبة للافتعال يمكن أن نشير هنا إلي ما يرد منها بالنسبة للتفاعل والتفعّل . والأمر هنا أبسط مما كان في حال الافتعال ، لأنه لايتعدي قلب التاء إلي مثل ما يليها لتصير ثاء أو دالا أو غير ذلك كما نراه في الشواهد الأخيرة ، ثم إدغام المثلين أحدهما في الآخر ، فالأمر لايتعدي القلب والإدغام .

أما الثابت الآخر (وهو أمن اللبس) فيمتد البحث في شأنه ليشمل الصور الثلاث للفعل ماضيا ومضارعاً وأمراً ، وليشمل مع ذلك معنيين من معاني الشخص النحوي هما الخطاب والغيبة . ومن ثم يحتاج شرح هذه الظاهرة إلي أن يكون ذلك من خلال جدول الإسناد في صورته الكاملة ، ولو كان المسند في الجدول فعلا واحداً فقط كما يلي :

الضمير	الرقم	أ	ب	ج	ملاحظات
		ماض	مضارع	أمر	
أنا	١	تزكيتُ	أتزكي		هناك تطابق بين :
نحن	٢	تزكينا	نتزكي		
أنت	٣	تزكيتَ	تتزكي	تزك	ب٣ و ب ٩
أنت	٤	تزكيت	تتزكين	تزكي	ج٥ و أ ١٠
أنتما	٥	تزكيتما	تتزكيان	تزكيا	ج٦ و أ ١٢
أنتم	٦	تزكيتم	تتزكون	تزكوا	
أنتن	٧	تزكيتن	تزكين		
هو	٨	تزكي	يتزكي		
هي	٩	تزكتْ	تتزكي		
هما	١٠	تزكيا	يتزكيان		
هما	١١	تزكتا	تتزكيان		
هم	١٢	تزكوا	يتزكون		
هن	١٣	تزكين	يتزكين		

أضف إلي ذلك ما يعرض من اللبس عند الترخص بحرف تاء المضارعة من الصيغ التي تبدأ بتاء التفاعل أو التفعّل فلا يدري المستقبل عندئذ ما إذا كان الفعل ماضيا أم مضارعا إلي أن تقوم قرينة لتعيين أحد احتمالات المعني . وإليك الشواهد التالية علي ذلك :

* «وإن تولوا فإنما هم في شقاق» (البقرة ١٣٧) .
* «فإن تولوا فإن اللّه لا يحب الكافرين» (آل عمران ٣٢) .
* «وإن تولوا فقل حسبي الله» (التوبة ١٢٩) .
* «وإن تظاهرا عليه فإن اللّه هو مولاه» (التحريم ٤) .